

جوانب من نشاط الحركة العمالية والنقابية

في منطقة سيدي بلعباس 1889 - 1939

Aspects of the activity of the labor and trade union
movement in the Sidi Bel Abbès region 1889 - 1939

اسم ولقب المؤلف المرسل: سيف الدين بوسماحة- Bousmaha Seifeddine صص 522-503

الدرجة والعنوان المهني: طالب دكتوراه- جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان- الجزائر.

البريد الإلكتروني: seifeddine.bousmaha@univ-tlemcen.dz

اسم ولقب المؤلف الثاني: سعاد يمينة شبوط- Chebout Souad

الدرجة والعنوان المهني: أستاذة- جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان- الجزائر.

البريد الإلكتروني: Souadchebout@yahoo.com

تاريخ استقبال المقال: 2020/12/05 تاريخ المراجعة: 2021/01/06 تاريخ القبول: 2021/02/08

الملخص: تقوم هذه الدراسة المتواضعة بمحاولة تبين بعض الجوانب الخفية من تاريخ الحركة العمالية والنقابية الفرنسية في منطقة سيدي بلعباس في الفترة الممتدة ما بين سنتي 1889-1939، وأكد أن منطقة سيدي بلعباس كانت من أهم مناطق الجزائر نشاطا على المستوى العمالي والنقابي؛ بل إنها حظيت بأولوية في أجندة النقابات الفرنسية، ولعل سبب هذا الاهتمام والتفضيل راجع إلى الطابع الكولونيالي الأوروبي الطاغى عليها في تلك الفترة، بخاصة مع التواجد السكاني الأوروبي الكبير مقارنة بمدن أخرى.

والدارس لتاريخ الحركة العمالية والنقابية في منطقة سيدي بلعباس إبان العهد الاستعماري سيجد أن بدايات النشاط النقابي بها كان في المجال الزراعي بإنشاء نقابة الزراعة ونقابة الري، لكن هذه النقابات كانت تهتم بتطلعات أرباب العمل من كبار المتمرين، وتخدم مصالحهم على حساب العمال الزراعيين البسطاء، الذين كانوا جزائريين بالأساس، وبذلك قد فرغت تلك النقابات من مغزاها الحقيقي، وهو الدفاع عن حقوق العامل ومصلحته، لكن هذه الوضعية ستتغير بالمنطقة فيما بعد مع بدايات القرن العشرين بعد سيطرة التيار الشيوعي الثوري عليها أين ستظهر نقابات عمالية هدفها الدفاع عن مصالح وحقوق العمال؛ الأمر الذي ولد ارتباطا كبيرا بين الحركة الشيوعية والحركة النقابية، حتى أصبحت سيدي بلعباس تعرف بشيوعية عمالها.

وملخص القول أننا حاولنا تقديم ما هو جديد من حيث المادة التاريخية حول هذا الموضوع خاصة فيما يتعلق بالارتباط السياسي النقابي لعمال المنطقة من خلال سيطرة الحركة الشيوعية على الحياة السياسية والنقابية في سيدي بلعباس، في ظل غياب دراسات سابقة مست هذا الجانب من الحركة العمالية بهذه المنطقة في الفترة الاستعمارية. الكلمات المفتاحية: الحركة العمالية؛ النقابات الفرنسية؛ الشيوعية؛ سيدي بلعباس؛ الجزائر.

Abstract: *This modest study attempts to clarify some hidden aspects of the history of the French labor and trade union movement in the Sidi Bel Abbas region in the period between 1889-1939, and it is certain that the Sidi Bel Abbas region was one of the most active regions in Algeria at the labor and trade union level, but it had a priority in the union agenda. French, and perhaps the reason for this interest and preference is due to the dominant character of the European colonialists in that period, especially with the presence of the large European population in other cities.*

A study of the history of the labor movement and trade unionism in the Sidi Bel Abbas region during the colonial era will find that the beginnings of union activity in it were in the agricultural field by establishing the Agriculture Syndicate and the Irrigation Syndicate. Those unions have emptied of their real meaning, which is a defense of workers' rights, but this situation will change in the region after the beginning of the twentieth century after the revolutionary communist movement took control of it. Where will trade unions appear aiming to defend the interests and rights of workers, which gave birth to a great link between the communist movement and the trade union movement, until Sidi Bel Abbas became known as the communism of its workers.

In summary, we tried to present what is new in terms of the historical material on this subject, especially with regard to the political association of the workers of the region through the control of the communist movement over political and trade union life in Sidi Bel Abbas, in the absence of previous studies that affected this aspect of the labor movement in the region of Sidi Bel Abbas In the colonial period.

Keywords: Labor movement; French trade unions; communism; Sidi Bel Abbas; Algeria.

المقدمة: من الموضوعات التاريخية التي تعنى بالجانب الاجتماعي نجد تلك الدراسات المتعلقة بالحركة العمالية والنقابية وهذا الفرع من الدراسات يعتبر ذا أهمية خاصة لما يشكله العمال من طبقة أو فئة مؤثرة داخل المجتمعات الانسانية، فالعمال في جميع أنحاء

العالم وبأخص في الدول ذات الطابع الصناعي نجدهم يشكلون الفئة الكبرى من مجموع فئات المهنية الأخرى، ولأن النقابات هي المنظم والمؤطر لهذه الفئة نجدها تتمتع بالقوة والوزن الكبير تؤهلها للعب أدوار حاسمة على الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية وأهم من كل ذلك تأثيرها الضاغطة على الحياة السياسية.

وبالعودة الى الجزائر نجد أن العمال قد ساهموا بشكل كبير في صناعة تاريخها السياسي المعاصر، فكانوا هم نواة أولى للعمل السياسي وفي نفس الوقت وقوده الذي أعطاه الاستمرارية والحياة، فهؤلاء العمال هم من أسسوا نجم شمال إفريقيا في المهجر، كما أنهم ساهموا في إنشاء حزب الشعب الجزائري وفي مقابل ذلك نجد أن الحزب الشيوعي الجزائري كان يتكون كله من العمال، ولا يمكن إنكار أن العمال كان لهم وجود في تشكيلات والأحزاب الوطنية والفرنسية الأخرى في تلك الفترة.

ومن هذا المنطلق كان لزاما علينا الخوض في غمار البحث في تاريخ الحركة العمالية وتأسيس النقابات في الجزائر، ولكن هذا الموضوع ليس جديدا من حيث أسبقية ولا من حيث البحث فقد صادف وجود دراسات لا بأس بها من حيث العدد، لكن هذه الدراسات قدمت أبحاث عامة في شكل "تاريخ الحركة العمالية والنقابية في الجزائر" أو على مستوى الجهوي على شاكلة "الحياة النقابية في القطاع الوهراني"، وهنا تبادر لنا تقديم هذه الدراسة المتواضعة حول الحركة العمالية والنقابية لكن في حيز أكثر محدودة جغرافيا، فكانت سيدي بلعباس هي هدفنا لما كانت تمثل هذه المنطقة في الوجدان الكولونيالي الفرنسي وتمتعها بمكانة عالية باعتبارها منطقة نفوذ أوروبي بامتياز في الغرب الجزائري والقطاع الوهراني. ولعل اختيارنا لعنوان "جوانب من الحركة العمالية والنقابية الفرنسية في منطقة سيدي بلعباس" لم يكن من فراغ، فسيدي بلعباس من المناطق أكثر نشاطا على المستوى العمالي والنقابي في العهد الاستعماري، إن ذلك راجع بدرجة أولى لطابعها الأوروبي؛ أي أن دراسة واحدة على شكل مقال من المستحيل أن تفي هذا الموضوع حقه، في حين يمكن أن ينشروا بدون مجاملة في سلسلة من الكتب إذا توفر للباحثين الأرصد الأرشيفية، وهي موجودة بشكل ضخم في فرنسا وحتى الجزائر.

ومما سبق نطرح الإشكالية التالية: ما هي أهم الأنشطة العمالية والنقابية في منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة 1889-1939. وهذه الإشكالية يمكن بدورها أن تتفرغ إلى أسئلة

ثانوية هي: لماذا منطقة بلعباس دون غيرها؟ ما هي أسباب الاهتمام الكبير الذي حظيت به سيدي بلعباس من طرف النقابات الفرنسية؟ متى كانت بداية أولى النقابات الفرنسية بها؟ وما هي طبيعة تلك النقابات؟ وما موقع تلك النقابات المحلية في سيدي بلعباس بالنسبة للمركزيات الأم بفرنسا؟ كل هذه التساؤلات ستكون محاور الكبرى لدراستنا المتواضعة.

1- أسباب اهتمام النقابات الفرنسية بسيدي بلعباس:

1-1 الطابع الأوروبي والكولونيالي للمنطقة: كانت منطقة سيدي بلعباس قبل الاحتلال الفرنسي مأهولة بشكل أساسي من البدو الذين كانوا يستقرون على طول ضفاف وديان المنطقة في شكل استقرار دائم أو شبه دائم، إذ استمروا في نمط عيشهم المرتكز على حياة البداوة، وحتى لما حاولوا تطوير وتمدين حياتهم نجدهم قد شكلوا موطن جماعي هشّ حول ضريح سيدي بلعباس¹، وإن هذا التجمع من قبائل المنطقة حول ضريح الولي الصالح سيدي بلعباس، وإن كان دائما ومستقرا إلا أنه لم يرق لمضاهاة مفهوم المدينة بشكلها الحديث؛ لذلك بقيت المنطقة تقبع تحت الطابع الريفي البدوي إلى غاية السنوات الأولى من الاحتلال.

وتذكر المصادر التاريخية تواجد عشرين قبيلة وفرع قبيلة في منطقة سيدي بلعباس في السنوات الأولى للاحتلال²، وهي المعروفة باسم قبائل بني عامر³ التي بايعت الأمير عبد القادر على طرد المستعمر منذ 1832، الأمر الذي جعلها تحظى بمكانة مميزة لدى الأمير حتى أطلق عليها تسمية أغاليك بنو عامر. وبفعل تقدم وتمركز الجيش الاستعماري بالمنطقة، هاجرت قبائل بني عامر إلى المغرب الأقصى لمواصلة الجهاد والمقاومة بزعامة الأمير ما دفع إدارة الاحتلال لتشييد حصن وثكنة عسكرية لفرق الليف الأجنبي على الضفة اليمنى لوادي مكرة قرب قبة ضريح الولي سيدي بلعباس في جانفي 1843 لحماية و تأمين المواصلات ما بين وهران وتلمسان من جهة، ومراقبة نشاطات المقاومة لقبائل المنطقة من جهة أخرى، ثم أخذ المركز العسكري يتوسع، ويستقطب المهاجرين الأوروبيين إلى غاية سنة 1848 تاريخ إنشاء الحقيقي لمدينة سيدي بلعباس، والذي جاء ضمن قرار إنشاء 19 مستوطنة بعمالة وهران بموجب قانون 19 سبتمبر 1848⁴، حيث تقرر تحويل المركز العسكري إلى مستوطنة أوروبية بشكل رسمي؛ عندها أرسلت الحكومة الفرنسية لجنة مختصة وضعت الترتيبات الأولى لتأسيس هذه المدينة، وتم تكليف المهندس النقيب برودون (Prudon)⁵ بوضع رسم

تخطيطي لشوارع المدينة وأحيائها ومرافقها الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، وجاءت الهندسة المعمارية للمدينة بشكلها المستطيل على الطراز العمراني الروماني القديم في شمال إفريقيا.

ورد في التقرير الذي سجل فيه تنقلات الإمبراطور نابليون الثالث أثناء زيارته الثانية إلى الجزائر في 16 ماي 1865؛ أن أراضي سيدي بلعباس تعد من أخصب الأراضي الموجودة في الجزائر، وهي مغطاة بنباتات جميلة⁶، الأمر الذي دفع الإمبراطور نابليون الثالث إلى إعادة توقيع مرسوم خاص بإنشاء سيدي بلعباس، ليكتب ليون باستيد (Léon Bastide)⁷ عن ذلك التحول لسيدي بلعباس في سنة 1880 قائلا: "حيث كانت الأوحال، أصبحت مكانها الزراعة والضبيعات الخصبة، وحيث كانت الأحراش بنيت على أنقاضها القرى وعبدت الطرقات. لقد تم بناء مدينة أوروبية في مكان تركز القبائل المحلية"⁸، وبهذا أصبحت سيدي بلعباس مركزا أوروبيا هاما في القطاع الوهراني لم تتجاوزها ربما في ذلك غير مدينة وهران التاريخية.

ومنذ مرابطة الجيش الاستعماري بالمنطقة وبسط نفوذه عليها تكونت أولى المراكز الاستيطانية، ولأنها معروفة بسهولها وأراضيها الخصبة أصبحت سيدي بلعباس منطقة لجذب المهاجرين الأوروبيين الجدد؛ لتتحول المدينة والبلديات التابعة لها فيما بعد إلى إقليم أوروبي بكل ما تحمله الكلمة من معنى؛ حتى أصبحت نسبة الأوروبيين بها تفوق نسبة الجزائريين في العقود المتأخرة من القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين، وهذا ما تظهره دفاتر الإحصاءات الفرنسية، ففي السنوات الثلاثين التي تلت تأسيسها تزايد عدد الأوروبيين بشكل كبير ومطرّد؛ فبعد أن كان عددهم 516 نسمة سنة 1849م ارتفع العدد إلى 1234 نسمة سنة 1851، ثم إلى 1728 نسمة سنة 1852 ليصل عددهم بعد 10 سنوات إلى 5101 نسمة، وتواصل الارتفاع إلى 7588 نسمة سنة 1867، بزيادة قدرها 2487 نسمة في أقل من سنتين، ثم ارتفع العدد سنة 1872 إلى 12417 نسمة، وفي أقل من خمس سنوات ما بين 1872-1877 ارتفع العدد بزيادة قدرها 5985 نسمة؛ أي أنه وصل إلى 18202 نسمة⁹، وبطبيعة الحال فإن هذا العدد سيجعل نسبة الأوروبيين تتفوق على الجزائريين في ظل سياسة الطرد والتهجير لكثير من القبائل العباسية المقاومة.

قدّمت الإحصاءات الفرنسية لسكان الجزائر في القرن العشرين المتاحة أرقاما عن تفوق العنصر الأوروبي على العنصر الجزائري في المنطقة؛ ففي سنة 1911 كان عدد سكان مدينة سيدي بلعباس من أوروبيين سواء من الفرنسيين الأصليين أو الأوروبيين المجنسين قد بلغ 13365 نسمة إضافة إلى 6701 نسمة من الأوروبيين غير المجنسين؛ أي ما مجموعه 20066 نسمة أوروبية مقابل 7333 نسمة من الأهالي سواء كانوا عربا أو بربرا وحتى مغاربة وتونسيين¹⁰. وهذا التفوق سيتواصل في السنوات اللاحقة؛ ففي الإحصاءات المقدمة سنة 1921 لسكان بلدية سيدي بلعباس، نجد أن مجموع الأوروبيين قد بلغ 25079 نسمة مقابل 10.141 نسمة من الجزائريين، وهذا التفوق الأوروبي سيتواصل من حيث مجموع العدد على مستوى 16 بلدية كاملة الصلاحيات تابعة لدائرة سيدي بلعباس بتعداد 38259 نسمة أوروبية مقابل 31485 نسمة أهلية¹¹، ونفس تلك الإحصاءات لسنة 1937 ستظهر أن عدد الأوروبيين قد بلغ 30341 نسمة مقابل 20753 نسمة جزائرية على مستوى بلدية سيدي بلعباس¹². والملاحظ أن التفوق الديمغرافي الأوروبي على مستوى مدينة وبلدية سيدي بلعباس سيتماد إلى غاية 1948 أين أشارت الإحصاءات أن الساكنة الأوروبية قد بلغت 46900 نسمة مقابل 42400 نسمة جزائرية¹³.

هذا التفوق الديمغرافي الأوروبي إضافة إلى تأسيس الإستعمار لمدينة سيدي بلعباس جعلها تحظى بأولوية كبرى في أجندة النقابات الفرنسية الناشطة في الجزائر، خاصة وأن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أبدا أن الحركة العمالية والحركة النقابية بمفاهيمها وفلسفاتها ونظرياتها إنما هي موروث أوروبي صرف للعالم بأسره، ذلك أن نشأة أولى التنظيمات النقابية في العالم كانت بأوروبا ومن تأسيس الأوروبيين، كما يعتبر تأسيس النقابات في الجزائر وحتى العالم العربي والإسلامي نتاج الاحتكاك الاجتماعي والثقافي بين المجتمع الجزائري العربي المسلم والفئات الأوروبية الوافدة جديدا إلى الجزائر ودليل على ذلك أن أول تلك النقابات الناشئة في الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر كانت نقابات أوروبية خالية تماما من وجود الجزائريين.

2.1 النشاط البارز للشبيوعية بالمنطقة: عرفت التيارات اليسارية الفرنسية عدة تقلبات وانقسامات منذ نشأتها نهاية القرن التاسع عشر إلى غاية بداية القرن العشرين، ففي أبريل 1905 اجتمعت الأحزاب اليسارية الفرنسية في مؤتمر باريس، وقررت توحيد الجهود

والنضالات تحت راية حزب واحد أطلق عليه اسم "الفرع الفرنسي للأمم المتحدة العمالية (S.F.I.O.)"، وهذه الوحدة سيكون لها إيجابياتها على مستوى الجهة الجزائرية أين سيتم فتح فيدرالية في الجزائر، وهذه الفيدرالية ستقوم بتنظيم المناضلين اليساريين داخل الجزائر والذين كان أغلبهم من الأوروبيين، حيث ضمت تلك الفدرالية الجزائرية سنة 1919 عدد 1500 منتسب¹⁴ مقسمين على المكاتب المحلية في المدن الجزائرية كما هو عليه الحال مع مكتب سيدي بلعباس.

لكن هذه الوحدة للتيار اليساري الفرنسي سرعان ما ستدب فيها الخلافات والانقسامات بين أعضائها، فبتاريخ 02 مارس 1919 تم إنشاء الأمم المتحدة الشيوعية (Internationale communiste) في موسكو، ومنذ ذلك الحين تعالت أصوات مجموعة من اليساريين الفرنسيين للانضمام إليها، وفي مؤتمر تور ديسمبر 1920 S.F.I.O. حدث انقسام داخلها بسبب أن الأمم المتحدة الشيوعية كانت تعادي الإمبريالية الكولونيالية، وتدعو إلى دعم الثورات والحركات التحررية إذ وقع الخلاف بين أنصار تيار الاشتراكية البرلمانية وأنصار تيار الشيوعية الثورية الجديد أين أصر أنصار التيار الجديد على الانضمام إلى الأمم المتحدة الشيوعية في حين رفض الجزء الأكبر ذلك، وهنا انسحبت الأقلية المنضمة للأمم المتحدة الشيوعية لتشكيل حزبا جديد باسم "الفرع الفرنسي للأمم المتحدة الشيوعية (S.F.I.C.)"، والذي سيعرف فيما بعد بالحزب الشيوعي الفرنسي (P.C.F.)¹⁵، أما فيدرالية الجزائر تابع لـ S.F.I.O. واتحاداتها الإقليمية في العمالات الثلاثة (الجزائر وقسنطينة ووهران) فقد صوتت فيما بينها للانضمام إلى الحزب الجديد بواقع 34 صوت موافق من أصل 41 صوت¹⁶ ما جعلها تتحول من الاشتراكية إلى الشيوعية، وبطبيعة الحال كان فرع سيدي بلعباس في طليعة تلك المكاتب المنضمة إلى الحزب الجديد، هذا الفرع الذي وصفه شارل روبر أجيرون بأهم فرع شيوعي في الجزائر؛ إذ كان يجند في صفوفه عدد كبير من عمال سكك الحديد، إذ عرف عن عماله أنهم الأكثر نشاطا على مستوى المدينة حتى أصبحت مدينة سيدي بلعباس تلقب من طرف المناضلين بـ "مكة الشيوعية"¹⁷.

وما يجب الإشارة إليه أن انقسام اليسار الفرنسي لم تقف انعكاساته على الجانب السياسي فقط، بل نتج عنه أيضا انقسام نقابي داخل الكونفدرالية العامة للشغل (C.G.T) التي كانت تمثل المركزية الأم لجميع لنقابات الفرنسية، والتي كان يسيطر عليها الاشتراكيون من

الفرع الفرنسي للأمم المتحدة العمالية (S.F.I.O) ليتم نفس شكل الانقسام مع تلك المركزية أين سيقوم التيار الشيوعي الثوري بالانشقاق، والإعلان عن تأسيس مركزية جديدة تحت إسم "الكونفدرالية العامة للشغل الاتحادية (C.G.T).

لكن على ما يبدو أن الفرع الشيوعي الفرنسي (S.F.I.C) الجديد سرعان ما اصطدم مع الأمم المتحدة الشيوعية التي تأسس خصيصا من أجل الانضمام إليها، فيما عرف "بقضية فرع سيدي بلعباس"، التي ترجع بدايتها إلى المؤتمر الثاني للأمم المتحدة الشيوعية المنعقد بموسكو من 19 جويلية إلى 07 أوت 1920، أين تم إقرار 21 شرطا لقبول الانضمام إليها¹⁸، ومن بينها: الشرط الثامن الذي جاء فيه: "في قضية المستعمرات والقوميات المضطّدة، يجب على أحزاب البلدان التي تمتلك بورجوازياتها مستعمرات أو قوميات مضطّدة، أن يكون لها موقف واضح المعالم وبدون أي غموض. يجب على كل حزب ينتهي إلى الأمم المتحدة الثالثة أن يفضح بلا رحمة جرائم الإمبرياليين في المستعمرات، وأن يدعم ليس فقط بالكلمات بل بالفعل أي حركة تحرر في المستعمرات، ويطالب بطرد المستعمرين الإمبرياليين، ويغذي في قلب عمال بلده المشاعر الأخوية الحقيقية تجاه جماهير الشغيلة في المستعمرات والقوميات المضطّدة، وأن ينظم بين صفوف جيش الاستعمار التحريض المستمر ضد ظلم الشعوب المستعمرة"¹⁹، ومن خلال هذا الشرط نلاحظ أن الأمم المتحدة الشيوعية قد طالبت الأحزاب المنضمة لها أن تتبرأ من الممارسات الاستعمارية لبلدانها، بل ذهبت بعيدا بطلب فضحها ودعم الحركات التحررية ضدها، لكن يظهر أن هذا الشرط لم يكن يخدم الشيوعيين الجدد من الفرنسيين خاصة في الجزائر، ما جعلهم يتغاضون عن هذه الشروط ولا يلقون لها الإهتمام.

ففي سنة 1921، قام الحزب الشيوعي الفرنسي (S.F.I.C) بإجراء استطلاع للرأي بين المناضلين الشيوعيين الأوروبيين في الاتحادات الجزائرية التابعة له فيما يخص ما سماه "مسألة الأهالي"، حيث أظهرت النتائج أن الفكرة السائدة لديهم تتلخص في محاربة النزاعات القومية فقط، وأن تحرير المستعمرات لن يكون إلا بإطلاق ثورات من داخل المتربول (أي فرنسا)، أما في الوقت الراهن فأولوية العمل ستكون على استيعاب الشعوب الأصلية حتى تحصل على نفس الحقوق التي يتمتع بها المواطن الفرنسي دون التشكيك في السيادة الفرنسية على مستعمراتها²⁰.

هذه الرؤية أو الفكرة لدى الشيوعيين الفرنسيين سيتم توظيفها من قبل الفرع الشيوعي لسيدي بلعباس برسالة أو مقترح من ستة نقاط توضيحية، أو كما سماها أسبابا، لرفض الشروط 21 للأمممية الشيوعية (I.C)، وعلى رأسها الشرط الثامن، والتي تم صياغتها من طرف أحد أهم الوجوه اليسارية في الجزائر ماكسيم غيليون (Maxime Guillon)²¹ رئيس فرع سيدي بلعباس، ويتم التصويت عليها في مداولات اجتماع الفرع بتاريخ 22 أبريل 1921، ليقدم كبديل عن المقترح الذي قدمته الأمممية الشيوعية حول المسألة الاستعمارية في شمال إفريقيا، ويخلص مقترح فرع سيدي بلعباس في الأخير إلى توصية الآتية: "لهذه الأسباب يعتقد القسم الشيوعي في سيدي بلعباس أن تحرير البروليتاريا الأهلية في شمال إفريقيا لن يكون إلا ثمرة ثورة ميتروبولية (أي ثورة في فرنسا)، وأن أفضل طريقة لمساعدة أي حركة تحريرية في مستعمرتنا لا تعني التخلي عن هذه المستعمرة كما يقال في شرط 9/2 أو 21/8 من شروط عضوية الأمممية الشيوعية، بل على العكس من ذلك البقاء هناك، والاعتماد على الحزب الشيوعي لمضاعفة الدعاية هناك من أجل الانضمام إلى الحركة النقابية والشيوعية، والتعاون من أجل خلق حالة ذهنية وهيكل اجتماعي في جميع أنحاء البلاد ربما يمكنه عند انتصار الشيوعية في فرنسا أن تسهل تأسيس دولة في إفريقيا الشمالية"²². هذا الموقف من فرع سيدي بلعباس سيتم تبنيه بعد ذلك من طرف فيدرالية الجزائر، كما سيرفع بعد عام من ذلك للنقاش في المؤتمر الثاني الإتحادي لشمال إفريقيا المقام بالجزائر في 24 سبتمبر 1922، أين سيتم توجيه انتقاد لاذع لنداء الأمممية الشيوعية، كما سيعتبر أنه لا يمكن تطبيق أطروحة موحدة بين الحزب الشيوعي الفرنسي والأمممية الشيوعية فيما يخص "المسألة الاستعمارية": بل وذهب بعيدا باستنكار الشرط الثامن للانضمام للأمممية²³، كما اعتبر أن نشر دعوة الأمممية الشيوعية من أجل تحرير الجزائر وتونس يعتبر خطأ فادحا، وأن الدعاية الشيوعية التي كانت الفروع النقابية مطالبة بها ستكون عديمة الجدوى وخطيرة²⁴، ومن دلائل تبني كل الشيوعيين الفرنسيين عن قناعة لهذه الأفكار المناهضة للتحرر، والتي تم إيرادها ضمن مقترح فرع سيدي بلعباس: تم ترقية ماكسيم غيليون صاحب المقترح من رئيس لفرع سيدي بلعباس إلى أمين عام لفيدرالية الجزائر الشيوعية²⁵ كنوع من التقدير على جهوده وأفكاره الرامية إلى تعزيز الوجود الإستعماري بالجزائر.

لكن المدة الزمنية لن تطول ليأتي ردّ الأُممية الشيوعية مدويا على مقترح فرع سيدي بلعباس وموقف الحزب الشيوعي الفرنسي المعارض لشروطها ومطالبها، على لسان ليون تروتسكي (Léon trotsky)²⁶ في مؤتمرها الرابع في ديسمبر 1922، إذ قدم الرجل تقريرا عن الحزب الفرنسي تحت عنوان "قرار بشأن المسألة الفرنسية" يؤكد فيه أن أسباب البطء الشديد لانتقال الحزب الفرنسي من الإشتراكية البرلمانية إلى الشيوعية الثورية غير مفهومة ولا يمكن تفسيرها، ليعرج بعد ذلك إلى وصف مقترح فرع سيدي بلعباس بالمقترح الإستعبادي بالقول: "يلفت المؤتمر الرابع الإنتباه مرة أخرى إلى الأهمية الإستثنائية لنشاط عادل ومنهجي للحزب الشيوعي في المستعمرات، ويدين الحزب بشكل شديد موقف الفرع الشيوعي لسيدي بلعباس، الذي يغطي بعبارات ماركسية زائفة وجهة نظره الاستعبادية البحتة، ويدعم بشكل عميق الهيمنة الإمبريالية للرأسمالية الفرنسية على عبيدها المستعمرين"²⁷.

وعلى ما يبدو فإن ضغوطات الأُممية الشيوعية وردّ تروتسكي قد أتى بثماره، إذ أن الحزب الشيوعي والشيوعيين الفرنسيين في الجزائر بدأوا بتغيير مواقفهم، باستعراض برنامجهم الجديد خلال المؤتمر الإتحادي للجزائر في 14 جانفي 1923 الذي أكد على ضرورة دعم ومساندة تطلعات الأهالي، ومحاربة الأفكار الإستعمارية حتى ولو داخل الفروع الشيوعية، والتأكيد خاصة على توظيف الأهالي، وإنشاء النقابات الزراعية إضافة إلى ربط العلاقات مع زعماء الحركة الديمقراطية الأهلية²⁸.

2- الحركة العمالية والنقابية ونشاطها بمنطقة سيدي بلعباس:

1.2- بدايات النشاط النقابي في المنطقة: تجمع جلّ الدراسات أن تاريخ بداية الحركة النقابية في الجزائر يعود إلى نوفمبر وديسمبر 1878، أين تم إنشاء الغرف النقابية لعمال المعادن والغرفة النقابية لعمال الطباعة التي كانت تضم 105 عضوا، وبالموازاة مع الغرف السابقة قام نجارو الأثاث بإنشاء نقابة خاصة بهم ضمت 159 عضوا. وفي الأشهر الأولى التي أعقبت سنة 1880 قام الطباخون وخبازو الحلويات لمدينة قسنطينة بإنشاء أول نقابة خاصة بهذه المهنة، يليه إنشاء الإتحاد النقابي لعمال المطابع في نفس المدينة سنة 1881، وفي السنة الموالية 1882 ظهر الإتحاد النقابي العنابي لعمال المطابع والتغليف، وهي نفس السنة التي شهدت ميلاد أول نقابتين في وهران، وكانتا خاصتين بالطبوغرافيين وخبازي

الحلويات، وضمت هذه الأخيرة 57 عضوا، ثم تلتها نقابة النجارين. وفي سنة 1883 قام عمال مستشفى مصطفى باشا بالعاصمة ونقاشو الحجارة بإنشاء نقابته الخاصة²⁹. أما في منطقة سيدي بلعباس التي تعتبر منطقة زراعية بامتياز؛ فنجد أن أولى النقابات التي ظهرت بها كانت نقابات تمتن أو تتعلق بالنشاطات الزراعية، ونخص بالذكر النقابة الزراعية (syndicat agricole de S.B.A)، ونقابة المياه للري (Syndicat des Eaux d'irrigation de S.B.A)، لكن الحقيقة أن هذه التنظيمات الزراعية لم تكن الأولى من نوعها في المنطقة؛ فقد ظهرت اللجنة الزراعية لسيدي بلعباس (le comité agricole de S.B.A) في 23 أفريل 1876م³⁰ على يد مجموعة من كبار الكولون في المنطقة، وعلى رأسهم ليون باستيد (Léon Bastide) وفابياس إيميل إرنست (Fabbiés Emile Ernest)³¹ وديكريون (Décrion) أمين خزيتها³²، وهي الأولى من نوعها في كل القطاع الوهراني، وعن دور هذه اللجنة الزراعية أو اللجان بالعموم فهي تجمعات شكلها ملاك الأراضي وكبار المزارعين في المناطق الريفية كان هدفها الأساسي هو تبادل التجارب فيما بينهم، وبالتالي تحسين التقنيات والممارسات الزراعية، كما كانت تقيم مرة كل سنة فعاليات عامة في شكل معارض للمنتجات الزراعية والمسابقات مصحوبة بمنح الجوائز. وبغض النظر عن الإحتفاليات التي كانت تقيمها تلك اللجان الزراعية، فإننا نستطيع القول أنها كانت بمثابة الجمعيات المهنية بالنسبة لأرباب الزراعة من الكولون قبل إقرار قانون النقابات في مارس 1884، إذ أنها كانت تقوم أيضا بمهام النقابات في الدفاع عن مصالح وتوجهات تلك الطبقة، لكن بعد إقرار قانون النقابات 1844 تم إنشاء النقابات الزراعية مع الإبقاء على تلك اللجان، بل حدث نوع من التوأمة بين النقابة واللجنة، وبخاصة في مدينة سيدي بلعباس، حيث نجد أن الأعضاء المؤسسين للنقابة الزراعية هم أنفسهم أعضاء اللجنة الزراعية.

والحقيقة تبقى أن المعلومات قليلة حول النقابة الزراعية لسيدي بلعباس في غياب الأرصدة الأرشيفية، لكن المعلومات المتوفرة تذكر أن هذه النقابة تأسست سنة 1901 في حين أن مراجعا أخرى تذكر سنة 1904م³³، حيث كانت تضم كبار الملاك من المعمرين في منطقة سيدي بلعباس، والذين بلغ عددهم 1100 عضو سنة 1910م³⁴، وقد تولى رئاستها جاستن ماريشال (Justin Maréchal)³⁵. واعتبرت النقابة الزراعية لسيدي بلعباس من أكبر النقابات في القطاع الوهراني؛ فبعد تأسيس فيدرالية النقابات الزراعية الوهرانية (Federation des

(syndicat agricole de l'oranie) في 20 أكتوبر 1920، انضمت نقابة سيدي بلعباس إلى هذا التكتل النقابي الجهوي رفقة 44 نقابة زراعية تنشط كلها على مستوع القطاع الوهراني، لكن كانت نقابة سيدي بلعباس تشكل أهم وأكبر نقابة زراعية داخل هذا الاتحاد بتعداد 1800 منتسب، تليها النقابة الزراعية لمستغانم بـ1150 منتسب، ثم نقابة معسكر بـ650 منتسب، ثم نقابة عين تموشنت بـ360 منتسب وتيارت بـ350 منتسب³⁶.

كان من المفروض بنقابة سيدي بلعباس أن تهدف إلى ترقية النشاطات الزراعية بمنطقة سيدي بلعباس، والعمل على الرفع من مستوى الإنتاج، وأهم من كل ذلك تحسين ظروف الفلاح الاجتماعية وحمايته، لكن الواقع كان مخالفا تماما، حيث هدفت تلك النقابة إلى حماية ملاك الأراضي من الكولون مع تقديم الدعم التقني والمادي لهم، وبذلك تم تجاهل العمال الزراعيين الأجراء، والذين كانوا بالأساس من الجزائريين، أي أن تلك النقابة رغم اسمها لم تكن تؤدي دور النقابة أبدا بالدفاع عن حقوق ومصالح العمال الزراعيين الأجراء.

لكن الحقيقة التي تذكر أن هذه النقابة استطاعت بالتعاون مع كبار المعمرين وملاك الأراضي تحويل سهول سيدي بلعباس إلى أهم المناطق ازدهارا من ناحية الزراعية على مستوى الجزائر وأكثرها إنتاجا، لكن الهاجس المناخي ومتوسط منسوب مياه المنطقة تساقطا وجريانا، جعل نفس المعمرين يبحثون عن سبل لتنظيم موارد المياه، فكان الحل مرة أخرى إنشاء نقابة خاصة تهدف إلى تنظيم توزيع الحصص المائية بين منتسبيها، ليتم إنشاء نقابة المياه للري لسيدي بلعباس (Syndicat des Eaux d'irrigation de S.B.A)، والتي يرجع تاريخ إنشائها إلى أوت 1889، وقد أظهر نص القانون الأساسي لهذه النقابة أنها احتاجت إلى أكثر من سنة لإقرارها بعد مرورها بالإجراءات القانونية المتبعة من خلال قانون 21 جوان 1865 الخاص بالجمعيات المهنية، حيث تم مناقشة وتعديل قانونها الأساسي من قبل اللجنة النقابية في مداولات اجتماعها المؤرخ 10 جوان 1888 قبل أن يوافق عليها مستشار العمالة في وهران بتاريخ 29 ماي 1889. ليعلن عن إنشاءها من طرف رئيسها بتاريخ 23 أوت 1889³⁷، وهذه النقابة مثلها مثل النقابة الزراعية تعتبران من النقابات المهنية الأولى الناشئة في الجزائر، والتي ولدت من رحم المعمرين المهاجرين بداية من سنة 1880؛ حيث نشطت من خلال النزاع بين الأوروبيين الأجانب والأوروبيين المجنسين بالجنسية الفرنسية، هؤلاء الاشتراكيون الجدد

الذين سمّوا أنفسهم جزائريين، ونادوا باستقلالية الجزائر المستعمرة من الفرنسيين³⁸، وجاء في مطلع قانون هذه النقابة أن عقد إنشائها تم وفق قانون 21 جوان 1865 من طرف ملاك بلديات سيدي بلعباس وسيدي لحسن وسيدي ابراهيم ولي ترومبل (les trembles) (سيدي حمادوش حاليا)، والهدف منها توزيع وتنظيم مياه وادي مكرة بحيث يمكن استخدامها لري أراضي الأعضاء، كل بما يتناسب مع حجم المياه التي يحق له الحصول عليها لري أرضه³⁹، ويذكر ديمونتي (Demontès) عن هذا النوع من النقابات أن خوف الكولون من الإضطرابات المناخية وما يصاحبها من جفاف دفعهم إلى تنظيم أنفسهم داخل نقابات للمياه ابتداء من سنة 1889، وهذه النقابات كانت تضم كبار الكولون المطالبين باستغلال جيد لري محاصيلهم عن طريق منشآت بسيطة كالسدود وقنوات الري لئتم إدخال تعديلات مختلفة عليها ابتداء من سنة 1900 بعد تلقيهم مساعدات مالية من طرف الحكومة العامة⁴⁰.

2.2 صراع المركزيات النقابية على المنطقة وأثره على انتماءات العمال: إن الانقسام الذي حدث داخل اليسار الفرنسي جراء ظهور التيار الشيوعي الثوري لم يقف عند الجانب السياسي فقط؛ بل تعدّاه إلى الجانب النقابي أين سينتقل الصراع إلى داخل الكونفدرالية العامة للشغل 1895، والتي كانت تعتبر المركزية الأم لجميع النقابات الفرنسية في الميتروبول والجزائر، كما أنها كانت تقع تحت سيطرة الإشتراكيين الإصلاحيين بزعامة ليون جوهو (Léon Jouhaux)⁴¹، وهم الأغلبية مقابل الأقلية الثورية بقيادة بيار مونات (Pierre Monatte)⁴²، وبغض النظر عن أسباب الخلاف ودوافعه بين الطرفين، فإن ذلك الصراع سيتحول إلى انقسام كلي للكونفدرالية سنة 1922، ونتج عنه ظهور الكونفدرالية العامة للشغل الإصلاحية (CGT) التي التزمت بالخط الإصلاحي الإجتماعي كالدعوة للابتعاد عن المجال السياسي والكونفدرالية العامة للشغل الإتحادية (confédération générale du travail) (unitaire) (C.G.T.U) مصطبغة بالتوجه الشيوعي الثوري الذي يمزج بين المطالب الاجتماعية والمطالب السياسية الثورية ضدّ الهيمنة الاستعمارية، إضافة إلى الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين (C.F.T.C)، والتي تأسست سنة 1919م⁴³، وهذه الأخيرة بسبب طابعها الديني لم تكن تلقى أي اهتمام من قبل العمال الجزائريين المسلمين.

لقد جعلت هذه الانقسامات من الحياة النقابية في الجزائر المستعمرة معقدة، فنجد أن العمال الأوروبيين أو الجزائريين كانوا يتوزعون بين نقابات كونفدرالية تابعة لـ C.G.T.

ونقابات الاتحادية التابعة لـ C.G.T.U ونقابات مسيحية تابعة لـ C.F.T.C دون نسيان النقابات المستقلة بذاتها.

أما عن موقع سيدي بلعباس من هذه الخريطة النقابية المتشعبة، فنجد أن عمال سيدي بلعباس قد هجروا الكونفدرالية العامة للشغل، وانضموا إلى الكونفدرالية العامة للشغل الاتحادية (C.G.T.U)، ولم يبق سوى نقابة عمال بريد ومواصلات وتيليغرام سيدي بلعباس (syndicat P.T.T)، وهي واحدة من أصل ثلاث نقابات لعمال البريد والمواصلات في القطاع الوهراني، والتي كانت تتبع كلها لاتحاد عمالة وهران (union départementale d'oran) التابع للكونفدرالية العامة للشغل (C.G.T) سنة 1930م⁴⁴.

لقد كانت الكونفدرالية الاتحادية (C.G.T.U) منخرطة في الأممية الشيوعية الحمراء (I.R.C) منذ الانقسام، وهي تضم غالبية النقابات العمالية في الجزائر، والتي كانت تتألف أساسا من الأوروبيين، كما تميزت أيضا بغلبة عمال السكك الحديدية⁴⁵، وهو نفس ما سنلاحظه في سيدي بلعباس، وعكس منافستها (C.G.T)، والتي كانت تنقسم إلى ثلاثة اتحادات (Unions Départementales) تمثل العمال الثلاثة (الجزائر وقسنطينة ووهران) تضم تحتها مختلف النقابات العمالية المحلية، فإن C.G.T.U كانت تتميز بتنظيم أفقي وآخر عمودي، فأفريقيا كانت هذه المركزية تنقسم سنة 1930 إلى سبعة اتحادات محلية كل منها محدد جغرافيا بشكل لا بأس به، وهي: سيدي بلعباس، قسنطينة، عنابة، الجزائر، البليدة، وهران وتلمسان تجتمع كلها تحت راية الاتحاد الإقليمي (Union Regionale)⁴⁶ الذي يعتبر الفرع الجزائري للكونفدرالية الاتحادية، أما عمودياً فكانت فدراليات فرنسا الخاصة بمختلف القطاعات تمتلك فروعاً لها في الجزائر؛ فعلى سبيل المثال كان الفرع الجزائري للسكك الحديدية مرتبطاً من جهة بالفدرالية الاتحادية لعمال السكك الحديدية، ومن جهة أخرى بالاتحاد الإقليمي⁴⁷، لذلك قام كرايي (Crapier)⁴⁸ الأمين العام للفدرالية الفرنسية للعمال السككيين سنة 1930 بالبقاء عدة شهور في الجزائر، وبخاصة بالقطاع الوهراني بهدف إعادة تأهيل وتنظيم نقابات اتحادية عمال السكك لمستغانم والمحمدية في حين أن نقابات سيدي بلعباس ووهران وتلمسان حافظت على نشاطاتها⁴⁹. ويعتبر إنشاء اتحاد محلي بسيدي بلعباس من أصل سبعة اتحادات محلية لـ C.G.T.U في الجزائر بمثابة إثبات على الأهمية الكبيرة لمنطقة سيدي بلعباس في أجندة الكونفدرالية الاتحادية.

ومن دلائل المكانة المميزة لسيدي بلعباس في أجندة تلك النقابات، ما حدث من صدام قوي بين الكونفدراليتين بهدف بسط نفوذهما عليهما؛ كاد يمكن أن ينتهي بما لا يحمد عقباه لولا تدخل قوات الأمن الاستعماري؛ فمنذ سنة 1926 أولى المكتب الفيدرالي للكونفدرالية العامة للشغل (C.G.T) بباريس اهتماما خاصا باتحاداته الثلاثة في الجزائر بهدف استرجاع مكانتها في الجزائر، والتي فقدتها لحساب الكونفدرالية الاتحادية، من خلال قيام الأمين العام للكونفدرالية ليون جوهر بجولات دعائية في المدن الجزائرية أين كان يعقد لقاءات بعمال نقاباته، لكن هذه اللقاءات غالبا ما كان يتم إفسادها من طرف العمال الإتحاديين والشيوعيين باقتحامها وإحداث الفوضى بها ما كان يصعب عقدها، وحتى لما كانت تعقد تلك الاجتماعات بصفة سرية عن طريق حجز مقاعدها لحاملي بطاقات الدعوة فقط؛ كان العمال الإتحاديون والشيوعيون يتسللون إليها ويفسدونها، ويصعبون من إقامتها، وإذا كانت تلك اللقاءات تنغص على أصحابها من النقابيين الكونفدراليين في المدن الجزائرية؛ فإن الأسوأ على الإطلاق ما كان سيحدث لهم في مدينة سيدي بلعباس، حيث كان مقررا عقد لقاء على مستوى المسرح البلدي للمدينة بتاريخ 29 ديسمبر 1926، لكن على ما يبدو فإن الآلاف من العمال الإتحاديين والشيوعيين قد اقتحموا اللقاء حتى قبل بدايته، أو حاولوا اقتحامه، ما دفع بعدد كبير من قوات الشرطة إلى تطويق المسرح مدعومة بفرقة من الفيلق الأجنبي وفصيلتين من الصباحية لمنع الاقتحام، في حين أن تلك الأعداد الكبيرة من العمال بدأت تغني للأمنية الحمراء، ما اضطر ليون جوهر إلى الخروج بصعوبة وتحت حماية قوات الأمن⁵⁰. هذا بالضبط ما يدفعنا للقول إن منطقة سيدي بلعباس كانت تخضع إجماليا لسيطرة الكونفدرالية الاتحادية (C.G.T.U)، وأن أي محاولة دعائية لـ C.G.T داخل المدينة كانت مرفوضة بل وممنوعة في ظل تميز عمالها ونقابيينها بالنزعة الشيوعية الثورية المتعصبة، والذين في غالبيتهم كانوا من عمال السكك الحديدية، وهذا النشاط الكبير لتلك الفئة من العمال في منطقة سيدي بلعباس هو ما سيدفع النقابة المستقلة للسككيين الجزائريين (S.I.C.A) إلى افتتاح فرع لها بمدينة سيدي بلعباس بتاريخ 1 ديسمبر 1929، رغم معرفة المسؤولين عن هذه النقابة المستقلة صعوبة التي ستواجههم في إنشاء فرع مستقلة للسككيين في منطقة معروف عنها أنها تحت نفوذ الشيوعيين السياسيين والاتحاديين النقابيين.

وقد حدث بالفعل ما كان متوقع، حيث قامت عناصر الإتحادية والشيوعية بحضور اجتماع إعلان التأسيس، ثم قامت بإفساده، وإحداث فوضى كبيرة به حتى تمّ فضّه، إذ يروي لنا مقال في النشرة الرسمية للنقابة المستقلة المسماة بالسككي المستقل (le cheminot independant) تلك الحادثة: "بعد إجتماع البلدية، أدى نجاح رفقاءنا إلى إزعاج الإتحاديين، كنا مقتنعين أنه بسبب التحدي الذي أطلقه سيس (Seiss)⁵¹ خلال الاجتماع، سيتوجه كل من كرايي وسيس وجيري (Giry)⁵² إلى سيدي بلعباس لإحداث الفوضى"⁵³، وعلى ما يبدو فإن التحدي الذي أطلقه سيس هو أن تستطيع النقابة المستقلة تأسيس فرع لها في مدينة سيدي بلعباس، وهو الأمر الذي كان شبه مستحيل آنذاك.

تم برمجة اجتماع لإعلان تأسيس مكتب النقابة المستقلة للسككيين الجزائريين من طرف وفد النقابة بتاريخ الأحد 1 ديسمبر 1929 بالمسرح البلدي لمدينة سيدي بلعباس على الساعة 9.30 صباحا، وحضره 300 شخص كان من بينهم حوالي عشرين شيوعي يجلسون في الصفوف الأولى للقاعة، يقول صاحب المقال: "عندما بدأ الإعلان عن تشكيل المكتب بدأ هؤلاء الأفراد الذين يشبهون في لباسهم عصابة من الأوباش يبحثون عن خطوة سيئة، لترتفع بعد ذلك الأصوات والصراخ، ومثل مجموعة من الوحوش الشرسة بعيون محقونة وأفواه متوترة وقبضات يد مهددة يمكن وصفهم بهارين من مصحات للمجانين... على الساعة 10.40 قام المفوض المركزي برفع الجلسة وإخلاء القاعة، أما الجمهور الكبير الذي جاء على أمل سماع المتحدثين لدى عرضهم برنامجهم؛ فانسحبوا مشمئذين من مستوى التصرفات المتدني والهابط المستخدم من طرف قادة الإتحاديين"، ولم تخفي النقابة المستقلة تحميلها مسؤولية الأحداث إلى كرايي الأمين العام للفدرالية الإتحادية للعمال السككيين، بل اهتمته بإرسال رسالة إلى الخلية الشيوعية بمدينة سيدي بلعباس لتحريضها على منع إعلان تأسيس المكتب فيها⁵⁴.

حالة الشعب والفوضى التي كان يقوم بها الشيوعيون والإتحاديون في مدينة سيدي بلعباس جراء رفضهم لإنشاء أي فرع نقابي غير إتحادي دليل واضح أن نقابات منطقة سيدي بلعباس كانت تقبع كلها تحت نفوذ الكونفدرالية العامة للشغل الإتحادية (C.G.T.U)، وهي الوضعية التي لم تنته إلا في جانفي 1936 أين سيعقد مؤتمر للوحدة بين الكونفدراليتين

بوهران لتعود الكونفدرالية العامة للشغل بعد الوحدة هي المسيطرة على جلّ مكاتب الاتحادات العمالية⁵⁵.

الخاتمة: ومما سبق ذكره يمكن أن نخرج بالاستنتاجات التالية:

- كانت منطقة سيدي بلعباس تحظى بمكانة هامة في أجندة النقابات الفرنسية، حتى أصبحت محل تنافس وصراع بين المركزيات النقابية الأم (الكونفدرالية الإصلاحية والكونفدرالية الإتحادية)، وهذه المكانة لم تكن لتأتي من فراغ، فتأسسها الاستعماري وتنفق العنصر الأوروبي بها هما أهم أسباب ذلك الاهتمام، خاصة إذا ما علمنا أن أولى النقابات الناشئة في الجزائر كانت نقابات أوروبية وللأوروبيين.

- عرفت سيدي بلعباس نشاطا مكثفا للتيار الشيوعي هو الأهم في القطاع الوهراني (الغرب الجزائري) حتى أصبحت تعرف بمكة الشيوعيين أو مكة الحمراء، هذا النشاط هو ما زاد من أهمية المنطقة ومكانتها لدى النقابات العمالية، خاصة الكونفدرالية الإتحادية التي كانت تتبنى نفس التوجه السياسي، والمنخرطة في الأممية الشيوعية إذ أصبحت تسيطر على كل نقابات منطقة ما عدا نقابات الزراعية.

- احتدام الصراع بين الكونفدراليتين الأم (C.G.T. و C.G.T.U) من أجل بسط نفوذهما على سيدي بلعباس ما كان يؤدي غالبا إلى وقوع اصطدامات عنيفة تنتهي بمجملها بتدخل قوات الأمن الاستعماري، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أهمية المنطقة في أجندة كلا المركزيتين.

- الطابع الزراعي للمنطقة هو الذي تحكم في تخصص أولى النقابات الناشئة في سيدي بلعباس من خلال نقابة المياه للري 1889 والنقابة الزراعية 1901، رغم أن هذه النقابات كانت موجهة للدفاع عن مصالح أرباب العمل من كبار الكولون؛ متناسية بذلك فئة الفلاحين الكادحين، والتي عادة ما تكون نشاطات النقابات موجهة إليهم.

- تمتع عمال سكك الحديد في سيدي بلعباس بمكانة نقابية راقية بين نظرائهم من العمال، وخاصة بسبب كثرتهم في ظل ازدياد أعدادهم مع بدايات القرن العشرين، وانتعاش حركة القطارات المدنية والاقتصادية باعتبار موقع سيدي بلعباس نقطة ربط بين مدن العمالة، هذا من جهة ومن جهة أخرى غياب قاعدة صناعية حقيقية لسيدي بلعباس تجعل من عمال صناعات أخرى يغلبون على عمال السكك الحديدية.

الهوامش:

1- Rédouane Ainad-Tabet, Sidi-bel-Abbès : des mythes fondateurs de la colonisation à la libération, revue Insaniyat, N° 03, Hiver 1997, P 12.-----2- Ibid, P13.

3- كانت قبائل بني عامر سنة 1830 تسيطر على مناطق شاسعة جنوب سبخة وهران، إذ شملت مناطقهم كل من جبل تسالة وسهول عين تموشة ومكرة، وهم فرع من العرب الزغبية التي كانت تستوطن الصحراء المصرية ليغادروها بأمر من الفاطميين للمشاركة في الهجرة الكبيرة لبني هلال الذين سيغمرهم جل المنطقة المغاربية تدريجيا، وقد احتاجت هذه القبائل أكثر من القرنين من الزمن لتصل إلى الجنوب الوهراني، ويتكون بنو عامر من ثلاث فروع كبرى وهي: بني يعقوب، بني يزيد وشافعي. ينظر:

-Pierre Boyer, Historique des Béni Amer d'Oranie, des origines au Senatus Consulte, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, N° 24, 1977, P 40.

4- صوتت الجمعية التأسيسية للحكومة الفرنسية الثانية في 19 سبتمبر 1848 على مرسوم تنفيذي يتمثل في فتح ائتمان بقيمة 50 مليون فرنك لوزارة الحربية للأعوام 1848 – 1849 - 1850 يتم صرفه بشكل خاص على إنشاء المستعمرات الزراعية في عمالات الجزائر. وتعتبر هذه المرة الأولى التي يقرر فيها اطلاق مشروع استعماري رسمي بهذا الحجم. إذ تقرر إنشاء 42 مستوطنة، تتلقى 12000 مستوطن يتم نقلهم على نفقة الدولة، مع امتياز تحصلهم على أرض من 2 إلى 10 هكتار حسب حجم أسرهم، إضافة لمزمل وأدوات الزراعية والأبقار والبذور وحصص الطعام اليومية لمدة ثلاث سنوات. ينظر:

-Yvette Katan, Les colons de 1848 en Algérie: mythes et réalités, revue d'histoire moderne et contemporaine, N°02, Tome 31, avril- juin 1984, P 177.

5- هيوغو أوجين بريدون Hugues Eugène Prudon: ولد سنة 1809 بمدينة ديسيس Dèce. في سنة 1929 وبسن العشرين التحق بالمدرسة المتعددة التقنيات، ثم المدرسة العسكرية التطبيقية ليتخرج منها برتبة ملازم هندسة سنة 1831، ترقى سنة 1834 إلى رتبة ملازم أولى ويلتحق بالفوج الثاني للهندسة في مونتبولي Montpellier. ثم ترقى إلى رتبة نقيب 1838. وسيظل بالخدمة في فرنسا إلى غاية سنة 1844 أين سيتقرر إرساله إلى الجزائر للمشاركة في حملة ضد قبائل فليسة وقبائل سيواو تحت قيادة الجنرال بيجو، ارتبط اسم النقيب بريدون بمدينة سيدي بلعباس باعتباره المهندس الذي وضع مخطط المدينة، واصل عمله بالجيش الاستعماري إلى غاية نياله رتبة جنرال فرقة ليتقاعد بعدها ويتوفي سنة 1891. ينظر:

-Revue du Génie Militaire, sixième année (janvier- decembre), Berger-Levrault & Cie libraires-éditeurs, Paris, 1892, PP 266 & 267.

6- ابراهيم لونيسي، الاستعمار الاستيطاني في الجزائر خلال القرن التاسع عشر - منطقة سيدي بلعباس نموذجا -، مجلة عصور، عدد 6 و 7، جوان- ديسمبر 2005، ص 66.-----7- ليون باستيد (Léon Bastide): ولد في 18 أبريل 1844 بمدريد، ويعمر ثلاث أشهر فقط انتقلت عائلته إلى الجزائر واستقر في سيدي بلعباس، أنهى دراسته في باريس ثم اشترك في أعمال والده الزراعية، ليصبح أحد أنشط الزراعيين في منطقة سيدي بلعباس لتنظيمه العديد من التظاهرات على رأس اللجنة الزراعية للمنطقة والتي كان رئيسها أين سيتحصل على العديد من الشهادات الشرفية، كما تحصل على الميدالية الذهبية والفضية لمجهودات تصدير المواد الزراعية كما نال الكثير من المناصب المتعلقة بالمجال الزراعي في الجزائر وفرنسا ولديه العديد من كتابات حول الزراعة في الجزائر. ينظر:

-Jacques Bouveresse, Un parlement colonial ? les délégations financières algériennes 1898 – 1945, publications des universités Rouen du Havre, Rouen (France), 2008, P 372 & 379.

8- حنيفة هلايلي، مدينة سيدي بلعباس: نشأة وتاريخ. من أعمال الملتقى الدولي حول "المدينة والتنمية المستدامة"، كلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة سيدي بلعباس، بتاريخ 03 و 04 ماي 2016، ص 7.-----9- ابراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص 70.-----10- مصطفى حجازي، الوضع الديموغرافي في منطقة سيدي بلعباس 1847-1954، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، عدد 2، 2015، ص 303.

11- gouvernement général de l'Algérie (G.G.A), Annuaire statistique de l'Algérie 1916 - 1921, 1922, P 08.

12- gouvernement général de l'Algérie (G.G.A), Annuaire statistique de l'Algérie 1936 - 1937, 1938, P 06.

13- مصطفى حجازي، المرجع السابق، ص 307.

14- René Gallissot, La République française et les indigènes, Algérie colonisée, Algérie algérienne, (1870-1962), Éditions de l'Atelier, Paris, 2006. P 68.-----15- Éloïse Dreure, Communisme et réalités coloniales, le communisme en Algérie 1920-1925, Revue Transversales, N° 9, mis en ligne le 1er octobre 2016, disponible sur:

http://tristan.u-bourgogne.fr/CGC/publications/Transversales/Dominants_domines/Eloise_Dreure.html#_ftnref6.



16- Charles-Robert Ageron, les communistes français devant la question algérienne de 1921 à 1924, mouvement social, N°78, janvier – mars 1972, P 11 & 12.----17- Ibid, P 29.

18- Nora benallégue-chaoui, mouvement ouvrier et question nationale 1919 – 1954, office des publications universitaires, Alger, 2005, P 28.----19- Philippe Alcoy, Quand l'Internationale Communiste était anticoloniale, PR dimanche, mis en ligne 22/04/2019, disponible sur : <https://www.revolutionpermanente.fr/Quand-l-Internationale-Communiste-etait-anticoloniale>.

20- Éloïse Dreure, Op-Cit.

21- ماكسيم غيلوم (Guillon Maxime): من أشهر الوجوه النقابية الأوربية في الجزائر المستعمرة، بدأ حياته المهنية كمعلم في مدينة سوق الأهراس ثم عناية، ثم أصبح أستاذا في المدرسة الابتدائية العليا في العاصمة وسيدي بلعباس، وتزامن مع نشاطه المهني أصبح ماكسيم منظم نقابة سكك حديد عناية – قالمة واتحاد الجزائري للفرع الفرنسي للأممية العمالية S.F.I.O قبل 1914، انضم إلى الحزب الشيوعي S.F.I.C بعد تحول ثلاث اتحادات الاشتراكية بإجماع، كما كان مستشار بلدي ومسؤول فرع الشيوعي لسيدي بلعباس، استقال من الحزب الشيوعي في ديسمبر 1922. ينظر:

-Gilbert Meynier, L'Algérie révélée: la guerre de 1914-1918 et le premier quart du XXe siècle, Librairie Droz, 1RE édition, Genève, 1981, P 704 & 705.----22- Ahmed Koulakssis et Gilbert Meynier, Sur le mouvement ouvrier et les communistes au lendemain de la Première Guerre mondiale, Le Mouvement social, N° 130, janvier- mars 1985, p 7 & 8.----23- Bulletin communiste, N° 49, 7 décembre 1922, P 31.----24- Nora benallégue-chaoui, Op-Cit, P 29.----25- René Gallissot, Op-Cit, P 27.

26- ليون تروتسكي (Léon Trotsky) 1879-1940: بدأ نشاطه الثوري كديمقراطي اجتماعي ليعتقل سنة 1898، هرب من منفاه بسبيريا إلى لندن عام 1902 أين التقى لينين وعاد إلى روسيا ليؤدي دور بارز في ثورة 1905 ليسجن في سانت بطرسبورغ لكنه هرب سنة 1907، انتقل بين أوروبا الغربية ثم نيويورك حتى 1917 أين عاد إلى روسيا بعد سقوط القيصر، استطاع مع لينين الاستلاء على السلطة، قاد جيش الأحمر إبان حرب الأهلية 1818-1920 أين أصبح الرجل الثاني بعد لينين لكن بعد وفاة الأخير استطاع ستالين الاستلاء على السلطة وطرده من الحزب الشيوعي ثم نفاه إلى تركيا عام 1929 وفي سنة 1940 تم اغتياله بأمر من ستالين في المكسيك. ينظر: - فراس بيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، الجزء الثاني، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، 2003، ص 539 و 540.

27- Philippe Alcoy, Op-Cit.----28- Bulletin communiste, N°2 & 3, 11-18 janvier 1923, P 32.----29- Nora benallégue-chaoui, Op-Cit, P 70 & 71.

30- أنظر نعي وفاة الكولون جون جاك نوزيل Jean-Jacques Nouzille نائب رئيس اللجنة الزراعية لسيدي بلعباس (1877-1903) والمنشور بجريدة تقدم سيدي بلعباس كولونالية. ينظر:

-Le Progrès de Bel-Abbès, N° 2170, 29me Année, 29 juin et 02 juillet 1910, P 02.

31- فابياس إميل ارنست Fabbies Emile Ernest: طبيب ورئيس بلدية عين البرد (Oued Imbert)، شغل منصب نائب رئيس اللجنة الزراعية لسيدي بلعباس لمدة عشر سنوات ثم رئيسا لها سنة 1891 خلفا لرئيسها المؤسس ليون باسيتيد. ينظر:

- Journal de l'agriculture de la ferme et des maisons de campagnes, tome premier, M.G. Masson libraire-éditeur, Paris, janvier – juin 1896, P 190.----32- Journal de l'agriculture de la ferme et des maisons de campagnes, tome deuxième, M.G. Masson libraire-éditeur, Paris, juillet – décembre 1889, P 123.

33- يشير جاك بوفارس Jacques Bouveresse إلى أن نقابة زراعية لسيدي بلعباس تأسست سنة 1901 في حين أن لويس أبادي Louis Abadie يشير أنها تأسست سنة 1904. ينظر:

- Jacques Bouveresse, op-cit, P 385, & aussi : Louis Abadie, Sidi-Bel-Abbès de ma jeunesse: les alentours, Tome 2, Editeur Jacques Gandini, Nice (France), 2006, P 32.----34- Le Progrès de Bel-Abbès, op-cit, P 02.

35- جاستن مارشال (Justin Maréchal): من كبار الكولون في منطقة سيدي بلعباس ورئيس بلدية Tremble (سيدي حمادوش حاليا) ورئيس نقابة الزراعة لسيدي بلعباس، كان يملك أراضي زراعية في بلدية Mercier Iacombe (سقيف حاليا) كما كان يملك 70 هكتار من أراضي مزروعة كروم في بلدية Trembles، إضافة إلى 53 هكتارا أخرى في Oued-Imbert (عين البرد حاليا). ينظر: Jacques Bouveresse, op-cit, P 366.

36- Luc Valeroy & Henri Bensadoun, L'Oranie biographique 1934-1935, Imp. Heintz Frères, Oran, 1935, P 121.



37- Jean Brunhes, L'irrigation : ses conditions géographiques, ses modes et son organisation dans la péninsule Ibérique et dans l'Afrique du Nord, C. Naud Editeur, Paris, 1902, P 471.-----38- René Gallissot, Algérie colonisée: Algérie Algérienne 1870-1962, La République Française et les indigènes, Barzekh, 2007, p 16.-----39- Jean Brunhes, op-cit, P 458.-----40- Victore Demontes, l'Algérie économique : Le sol. Le climat. Les irrigations, Tome 1, G.G.A : D.A.C.C, Imprimerie Algérienne, Alger, 1922, P 346.

41- ليون جوهو (Léon Jouhaux) 1879-1954: نقابي فرنسي تزعم الحركة النقابية الفرنسية من خلال شغله لمنصب الأمين العام للكونفدرالية العامة للشغل (1947-1909). ولعب دورا هاما في توحيد الحركة العمالية الفرنسية، تم سجنه من طرف الألمان في الحرب العالمية الثانية، تحصل على جائزة نوبل لسلام سنة 1951. ينظر:

-Barry Jones, Dictionary of World Biography, tried édition, Press: Australian National University, Australia, 2016, P 442.

42- بيار مونت (Pierre Monatte) 1881-1960: مدقق لغوي، ناشط نقابي ثوري مؤسس جريدة الحياة العمالية la Vie ouvrière في عام 1909 وجريدة الثورة البروليتارية la Révolution prolétarienne في عام 1925. كان أحد مسؤولين الكونفدرالية العامة للشغل أين قاد تيار الشيوعي الثوري داخلها الى غاية انقسامها. ينظر:

Henri Temerson, Biographies des principales personnalités françaises décédées au cours de l'année, Hachette Edition, Paris, 1961, P 143.

43- محمود آيت مدور، الحركة العمالية في الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية 1830 – 1962: بين النضالات الاجتماعية والكفاح التحرري، دار هومة، الجزائر، 2015، ص 96.

44- Nora benallégue-chaoui, Op-Cit, P 73.

45- محمود آيت مدور، المرجع السابق، ص 94.

46- Albert Ayache, Essai sur la vie syndicale en Algérie l'année du Centenaire (1930), dans le mouvement social , N° 78, Paris, Janvier – mars 1972, P 105.

47- محمود آيت مدور، المرجع السابق، ص 131.

48- كرابي جول هنري (CRAPIER JulesHenri): ولد 26 أوت 1895 في فيرماند (أيسن) Vermand (Aisne). أمضى حياته المهنية في قطاع السكك الحديدية، حيث تدرج في المهن ومناصب ابتداءا من حارس للفرامل (يساعد السائق) ثم مراقب قطارات، أصبح سكرتير العام للكونفدرالية الاتحادية CGTU ثم الكونفدرالية CGT لعمال السكك الحديدية (1926-1939)، ثم سكرتير الفيدرالي (1944-1951)؛ وعلى جانب السياسي كان كرابي ناشطا شيوعيا، كما كان عضو مجلس إدارة الشركة الفرنسية لسكك الحديدية SNCF (1945-1948)، توفي 2 سبتمبر 1985 في لاغني سير مارن (سين ومارن) Lagny-sur-Marne (Seine-et-Marne). ينظر:

- Marcel Cachin, Carnets 1906-1947, volume 4 (1935 – 1947), CNRS édition, Paris, 1993, P585. & aussi – Jean maitron, dictionnaire biographique de mouvement ouvrier et mouvement social en ligne : <https://maitron.fr/spip.php?article21049>.

49- Albert Ayache, Op-Cit, P 108.-----50- Ibid, P 101.

51- سيس فرناند (Seiss Fernand): سكي شيوعي، بدأ العمل كسكي في شركة PLM الجزائر، أصبح في عام 1928 سكرتيرا لنقابة CGTU لعمال السكك الحديدية PLM، في عام 1929 أصبح أميناً لاتحاد CGTU لعمال السكك الحديدية الجزائرية، وفي عام 1931 شغل منصب سكرتير فيدرالية عمال السكك الحديدية في شمال إفريقيا، اعتقل في فيفري 1934 وحكم عليه سنة سجن، وفي 1935 أصبح عضو اللجنة الإدارية لاتحاد النقابات الكونفدرالية لعمال سكك الحديد الجزائر. ينظر: Nora benallégue-chaoui, Op-Cit, P 430.

52- جيرى شارل (Giry Charles): سكي حديد، ولد في 18 ماي 1888 بمدينة وهران. في عام 1924 شغل منصب أمين عام مساعد لنقابة الاتحادية لسكك الحديد الجزائرية وسكرتير عام لمجموعة خطوط السكك الحديدية الحكومية لفيدرالية الاتحادية لسككين الحديد، بقي على رأس هذه المناصب الى غاية 1943، كما وبعد أحد مسؤولين في الاتحاد النقابات الكونفدرالية لوهران. ينظر: Nora benallégue-chaoui, Op-Cit, P 407.

53- Le cheminot independant : bulletin officiel du syndicat independant des cheminots algeriens, N° 12, decembre 1929, Alger, P 03.-----54- Ibid, p03.

55- محمود آيت مدور، المرجع السابق، ص 152.